جمعية الدعوة والتعليم
باللغات الأفريقية
Da'wah and Education in African Languages

الحديث

منهج مخصص للدورات الشرعية القصيرة

إعداد جمعية الدعوة والتعليم باللغات الأفريقية

إنما الأعمـــــال بالنيـــات

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينْكحُها فَهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليْهِ) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

- (إنَّما): قيل بسيطة. وقيل: مركبة من: أنَّ وما الكافة؛ أو الزائدة للتأكيد. وقيل: مركبة من أن وما النافية فهي عاملة بركنها إيجابا، ونفيا فبحرف التحقيق يثبت الشيء، وبحرف النفي يُنفى ما عداه، وما اعترض عليه من لزوم اجتماع الضدين على شيء واحد، ومن: أن، وما كلاهما يقتضي الصدارة مدفوع بأن هذا إنما هو قبل التركيب، وأما بعده فقد صار علما مفردا على إفادة الحصر، وكلمة (إنّما) للحصر، على ما تقرر عند الأصوليين ومعنى الحصر فيها: إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما عداه.
- (النيات): جمع نية وهي لغة: انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب منفعة أو دفع ضر حالا أو مآلا. والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضى الله تعالى وامتثال حكم. قال ابن حجر في الفتح (١/ ٥٣): (والنية في الحديث محمولة على المعنى اللغوي وهو القصد).
- (الهجرة) فعلة من الهجر ضد الوصل. ثم غلب ذلك على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى للثانية.

- (ومن كانت هجرته إلى دنيا): الدنيا بضم الدال، ويكسر، وهي فعلى من الدنو وهو القرب لدنوها من الزوال، أو لقربها من الآخرة. ولا تنون لأن ألفها مقصورة للتأنيث، أو هي تأنيث "أدنى" وهي كافية في منع الصرف، وهي حال مقدرة أي يقصد إصابتها.
- (يصيبها): أي يحصلها، لكن لسرعة مبادرة النفس إليها بالجبلة الأصلية شبه حصولها بإصابة السهم للغرض والأظهر أنه حال مقدرة أي يقصد إصابتها.

الفوائد والأحكام

- ليس المراد نفي ذات العمل لأنه قد يوجد عمل بغير نية بل المراد أحكامها كالصحة والكمال، ولأن اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع، فلما منع الدليل نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة.
- قوله صلى الله عليه وسلم: (وإنما لكل امرئ ما نوى) يقتضي أن من نوى شيئا يحصل له، وكل ما لم ينوه لم يحصل له فيدخل تحت ذلك ما لا ينحصر من المسائل. ومن هذا عظموا هذا الحديث. فقال بعضهم: يدخل في حديث (الأعمال بالنيات) ثلثا العلم
- لا يعتد بالأعمال بدون النية مثل الوضوء والغسل والتيمم وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتكاف وسائر العبادات، فأما ما لا يفتقر إلى النية كالعادات من الأكل والشرب، واللبس وغيرها، أو كرد الأمانات والمضمونات، كالودائع والغصوب، وكإزالة النجاسة وما كان من باب الترك فلا يحتاج شيء من ذلك إلى نية
- الإخلاص شرط لحصول الثواب في جميع الأعمال؛ فإن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى، فإن كان الباعث على عمله ابتغاء وجه الله حصل له هذا الأجر، وإن كان الباعث

عليه الرياء والسمعة أو المباهاة فصاحبه متعرض لمقت الله وعقابه، كسائر من عمل شيئا من أعمال البر يبتغي به غير وجه الله.

- من أكمل ما قيل في التلفظ بالنية ما قاله ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد: (كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال: الله أكبر، ولم يقل شيئا قبلها، ولا تلفظ بالنية، ولا قال: أصلي لله صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماما أو مأموما، ولا قال أداء أو قضاء، ولا فرض الوقت. فهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط بإسناد صحيح ولا ضعيف، ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة منها البتة، بل ولا عن أحد من الصحابة، ولا استحبه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة) زاد المعاد [١/ ٢٢١].

حديث جبريل

عن يحيى بن يعمر قال: (كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ

سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) رواه مسلم (٨).

- (أول من قال بالقدر): معناه أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أصل الحق
- (فوفق لنا): معناه جعل وفقا لنا وهو من الموافقة التي هي كالالتحام يقال أتانا لتيفاق الهلال وميفاقه أي حين أهل لا قبله ولا بعده وهي لفظة تدل على صدق الاجتماع والالتئام
- (فاكتنفته أنا وصاحبي): يعني صرنا في ناحيتيه وكنفا الطائر جناحاه.
- (ويتقفرون العلم): ومعناه يطلبونه ويتبعونه وقيل معناه يجمعونه
- (وذكر من شأنهم): هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحيى بن يعمر يعني وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ووصفهم بالفضيلة في العلم والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به
- (وإن الأمر أنف): أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه.

- (بينما): بينما كبينا ظرفا زمان، فيهما معنى المفاجأة ومعنى الشرط، ولذا استدعيا جواباً، وأصلهما بين التي هي ظرف بمعنى وسط دخلت عليها ما الكافة عن الجرّ وأشبعت أخرى فتحة النون فصارت ألفاً، والعامل فيها هنا معنى المفاجأة في قوله:
- (إذ طلع علينا رجل): والمعنى: وقت حضورنا في أشرف مجلس فاجأنا عند طلوع ذلك الرجل.
- (طلع): هو مستعار من طلعت الشمس لا يذكر إلا فيما له شأن كما حققه في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨].
- (ووضع كفيه على فخديه): معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه وجلس على هيئة المتعلم. خلافا لرواية سليمان التيمي ففيها (ثمَّ وضع يَده على ركبتي النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم).
- (فعجبنا له يسأله ويصدقه): سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل إنما هذا كلام خبير بالمسئول عنه ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم ذلك غير النبي صلى الله عليه وسلم.
- (إذ دخل علينا رجل): أي ملك في صورة رجل
- (وملائكته): جمع ملك وأصله ملاك من الألوكة بمعنى الرسالة وزيدت التاء فيه لتأكيد معنى الجمع أو التأنيث للجمع وهم أجسام علوية نورانية مشكلة بما شاءت من الاشكال
- (الإحسان): مصدر أحسن من الحسن وهو ضد القبح

- (أن تعبد الله): من العبادة وهي الطاعة مع خضوع وتذلل قال الهروي: (يقال طريق معبد إذا كان مذللا للسالكين وكل من دان للملك فهو عابد له). وفي المحكم عبد الله يعبده عبادة ومعبدة تأله له وفي الصحاح التعبد التنسك
- (عن أماراتها): بفتح الهمزة جمع أمارة يعنى علاماتها وقيل مقدماتها وقيل صغار أمورها وفي المحكم والجامع أوائلها والمراد أشراطها السابقة لأشراطها المقارنة لها كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ونحوهما.
- (ربتها): الرب المالك والسيد والمصلح وفي العباب رب كل شيء مالكه والرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا بالإضافة وربيت القوم أي كنت فوقهم ورب الضيعة أصلحها وأتمها ورب فلان ولده يربه ربا ورب بالمكان أقام به والربة المولاة ثم قال وفي حديث النبي عليه السلام حين سأله جبريل عليه السلام عن أمارات الساعة فقال: (أن تلد الأمة ربتها) ويقال فلانة ربة البيت وهن ربات الحجال
- (يتطاولون): أي يتفاخرون بتطويل البنيان وتكبره.
- (الرعاء): بكسر الراء جمع راع

الفوائد والأحكام

- دل الحديث على بعض آداب طالب العلم، فمن ذلك ينبغي لطالب العلم أن يحسن الجلوس بين يدي العالم على هيئة التواضع، وألا يسيء الأدب مع شيخه بقول أو فعل أو هيئة ويراعي مع ذلك التجمل وتحسين الثياب والنظافة عند العلماء والفضلاء، فإن جبريل عليه السلام أتى معلما للناس بحاله ومقاله، ومما يرشد إليه الطالب أن يكون قوي النفس

لا يستحي عن السؤال وطلب الحق قال أحد السلف: (لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر).

- أرشد الحديث إلى بعض آداب العالم مع تلاميذه، فينبغي للعالم أن يتواضع ويحلم عن السائل وإن تجاوز ما يجب عليه من التعظيم والتكريم، ومن آدابه أنه إذا سئل عن شيء لم يعلمه فليقل لا أعلم ولا ينقص ذلك من مكانته وقد كان ذلك من هدي السلف، كما يحسن به أن يكثر من إلقاء السؤال والجواب على الطالب وهو أسلوب تعليمي نافع أكثر منه النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لمعاذ رضي الله عنه: (أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ) رواه البخاري (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠)، وقوله لأصحابه: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ) رواه الترمذي (٢٤١٨)، وكذلك يستحسن أن ينبه تلامذته على قواعد العلم وأصول المسائل طلبا لنفعهم.
- قوله: (الإسلام أن تشهد) حد الإسلام لغة: الانقياد والخضوع، واصطلاحا: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، وتنقسم الأعمال إلى عمل بدني كالصلاة والصوم، وعمل مالي كالزكاة، وعمل مركب منهما كالحج. فالإسلام يشمل جميع الواجبات الظاهرة، وإنما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على ذكر الأمور الخمسة لأنها الأصول التي يبنى عليها، ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) رواه البخاري (١٠) ومسلم (٤١). ويدخل أيضا في مسمى الإسلام ترك المحرمات.
- أما الإيمان فحده لغة: التصديق، واصطلاحا: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان. وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم

بالاعتقادات الباطنة ومذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، فقد حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم. وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكارا شديدًا. وقد دل على دخوله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ) رواه مسلم (٣٥).

- إذا ذكر الإسلام أو الإيمان وحده في نصوص الشرع صار معناه عاما يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة. كما في حديث وفد عبد القيس حيث فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان حينما ورد مفردا بمعنى الدين الشامل للظاهر والباطن. وإذا ذكر الإسلام مقرونا بالإيمان في النصوص صار لكل واحد منهما معنى خاص به، فالإسلام بمعنى الأعمال الظاهرة والإيمان بمعنى الأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول في مسالة الإسلام والإيمان هل هما واحد أو مختلفان، فالتحقيق أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده. كما في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلامُ علانية، والإيمانُ في القَلبِ) رواه أحمد (١٢٣٨١)، ولهذا قال العلماء كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا.

- دلت النصوص على أن من أكمل الإتيان بمباني الإسلام الخمس صار مسلما حقا أما من أقر بالشهادتين صار مسلما حكما، فإذا دخل في الإسلام بذلك ألزم بشرائع الإسلام وفرائضه، فإن امتنع عن فعل جميع الفرائض حكم بردته.
- أركان الإيمان ستة لا يصح الإيمان إلا بها جميعا فمن ترك ركنا منها بطل إيمانه
  - الإيمان بالله وهو الاعتقاد الجازم بوجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ووحدانية في ذلك، أي بأنه لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].
  - الإيمان بالملائكة وهو الاعتقاد الجازم بوجودهم وأن الله خلقهم من نور لعبادته وأنهم ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، ولهم وظائف كثيرة فمنهم الموكلون بحمل العرش ومنهم الموكلون بالوحي ومنهم الموكلون بالجبال ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين ومنهم الموكلون بسؤال العبد في القبر، وأفضلهم جبريل روح القدس عليه السلام وهم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله لا يأكلون و لا يشربون ولا يتناسلون وخلقتهم عظيمة لهم أجنحة متباينون في عددها وقد أعطاهم الله قوة يتمثلون ويتشكلون في غير صورهم التي خلقهم الله عليها وقد حجبهم الله عنا فلا نراهم في

صورهم التي خلقوا عليها ولكن كشفهم لبعض عباده كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق.

- الإيمان بالكتب وهو الاعتقاد الجازم بأن الله أنزل على رسله كتبا فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيها نور وهدى (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ) [البقرة: ٢٨٥] أنزلها لأجل هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومنها: القران والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها القران.
- الإيمان بالرسل وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلا مبشرين ومنذرين لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور قال تعالى: (رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا) [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: (وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ) [النحل: ٣٦] ونؤمن بذلك إجمالا لا نعلم عددهم كما قال تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ) [غافر: ٧٨] ونؤمن بهم تفصيلا كما فصلهم الله في كتابه وأفضل الرسل والأنبياء أولو العزم وهم خمسة: محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين وأفضلهم نبي الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله (مَّا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) [الأحزاب: ٤٠] والإيمان بواحد منهم يستلزم الإيمان بهم جميعا. والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم لأن كل واحد منهم يدعو إلى توحيد الله وطاعته قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) [النساء: ١٥٠-١٥١].

- الإيمان باليوم الآخر وهو الاعتقاد الجازم بيوم القيامة والإيمان بكل ما اخبر الله به وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت وحتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فنؤمن بأمور الغيب بعد الموت من سكرات الموت وعالم البرزخ ونعيم القبر وعذابه وفتنته وسؤال الملكين وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ونؤمن بيوم القيامة الكبرى الذي يحيي الله فيه الموتى ويبعث العباد من قبورهم ثم يحاسبهم، وبالنفخ في الصور وهي ثلاث نفخات: نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث والنشور فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس ومنهم من يلجمه العرق، وأول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتنشر صحف الأعمال فيكشف المخبوء ويظهر المستور ويحصّل ما في الصدور ويكلم الله عباده ليس بينه وبينهم ترجمان ويدعى الناس بأسمائهم وأسماء آبائهم، ونؤمن بالميزان الذي له كفتان توزن به أعمال العباد وأبدانهم وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويردون على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك وآنيته عدد نجوم السماء وطوله شهر وعرضه شهر من

شرب منه لم يظمأ منه أبدا ويحرم منه من ابتدع في الدين، والصراط منصوب على متن جهنم يتجاوزه الأبرار كل على حسب عمله ويزل عنه الفجار، ثم من نجا من أهل الجنة يحبسون على قنطرة دون الجنة يتقاص أهل الإيمان بعضهم من بعض ثم كل يرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى النار، والجنة والنار مخلوقتان قبل الخلق لا تفنيان أبدا، والموت يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش بين الجنة والنار فيذبح فيصير الخلق في خلود لا فناء بعده، ونؤمن بشفاعة نبينا وسائر النبيين والملائكة والشهداء والصديقين والصالحين، ويخرج الله خلقا بغير شفاعة بفضله ورحمته.

- الإيمان بالقدر خيره وشره وهو الاعتقاد الجازم بأن كل خير وشر بقضاء الله وقدره وأن الله تعالى فعال لما يريد فكل شي بإرادته ولا يخرج عن مشيئته وتدبيره، وعلم كل ما كان وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وقدر المقادير للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضت حكمته وعلم أحوال عباده وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وملخصه: هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٖ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩] ومراتب القدر أربعة لا يتحقق إيمان العبد إلا بها:

١. العلم وهي الإيمان بأن الله عالم بكل ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون جملة وتفصيلا وأنه علم ما الخلق عاملون قبل خلقهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥].

٢. الكتابة وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه من شي فكل ما جرى وما يجري إلى يوم القيامة مكتوب عنده في أم الكتاب قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس ١٢].

٣. المشيئة وهي الإيمان بأن كل شي يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الحكمة والرحمة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمشيئته نافذة وقدرته شاملة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن إرادته شي قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

٤. الخلق وهي الإيمان بأن الله خالق كل شي لا خالق غيره ولا رب سواه وأن كل ما سواه مخلوق فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وأن كل ما يجري من خير وشر وكفر وإيمان وطاعة ومعصية شاءه الله وقدره وخلقه، وأنه يحب الإيمان والطاعة ويكره الكفر والمعصية.

والعباد لهم قدرة على أفعالهم واختيار وإرادة لما يصدر منهم من طاعة ومعصية لكن مشيئتهم وإرادتهم تابعة لمشيئة الله وإرادته خلافا للجبرية الذين يقولون إن العبد مجبر على أفعاله ليس له اختيار وللقدرية الذين يقولون إن العبد له إرادة مستقلة وأنه يخلق فعله وأن إرادته ومشيئته خارجة عن إرادة الله ومشيئته والحق ما عليه أهل السنة قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

- الإحسان من مراتب الدين وهو أخص من الإيمان والإسلام، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنه يشتمل على مقامين:

١. مقام المراقبة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله لأن استحضاره ذلك يمنعه من الالتفات لغير الله.

٢. مقام المشاهدة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدته لله بقلبه فيتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة الإحسان ويتفاوت أهله فيه بحسب بصائرهم.

والإحسان يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ويوجب أيضا النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها.

- ينبغي على العبد أن يستحضر قرب الله ومعيته في العبادة وقد ورد الندب إلى ذلك في السنة الصحيحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ) رواه البخاري (٤١٣) رواه مسلم (٥٥١)، وقال صلى الله عليه وسلم للذين يرفعون أصواتهم بالذكر (إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّا، وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، وفي رواية لأحمد (١٩٥٩٩) (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) وقال مسلم بن يسار: (ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل) وقال غزوان: (إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي)، ومن وصل إلى هذه الحالة في عبادته استأنس بالله وفرح بلقائه وانشغل قلبه بذكره واستغنى عن غيره.
- أخبر النبي أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم وقت حدوث الساعة وهو مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا ففي صحيح البخاري (٤٧٧٨) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}).

وقد ذكر في هذا الحديث علامتين من علامات الساعة وكلتاهما وقعت:

العلامة الأولى: (أن تلد الأمة ربتها) والمراد سيدتها ومالكتها، وفُسر ذلك بأحد معنيين:

١. أن يكثر جلب الرقيق حتى تجلب البنت فتعتق ثم تجلب الأم فتشتريها البنت وتستخدمها جاهلة بأنها أمها وقد وقع هذا في الإسلام، وفيه كناية إلى انتشار الإسلام وكثرة الفتوح وجلب الرقيق.

٢. وقيل يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من حيث السب والضرب والاستخدام والاستهانة.

العلامة الثانية: (أن ترى الحفاة العراة العالة) والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم وتكثر أموالهم حتى يتباهوا بطول البنيان وزخرفته وفي ذلك انقلاب الموازين وفساد نظام الدين والدنيا، فقد أخرج أحمد (٧٩١٢) من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ " قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ).

- في الحديث إشارة إلى كراهة ما لا تدعو الحاجة إليه من رفع البناء وتزويقه وغيره من فضول المباح في كل شيء، ولم يكن إطالة البنيان معروفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بل كان بنيانهم على قدر الحاجة، وفي صحيح البخاري (٧١٢١) عن أبي هريرة عن رسول الله عليه وسلم قال (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى... وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ)، وكلما ابتعد الناس عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم وروح الإسلام حصل منهم توسع في المعمار ومبالغة في زخرفة المباني وبذل الأموال العظيمة في سفاسف الأمور، ولا يؤجر

العبد على شيء من ذلك كما روي في سنن ابن ماجه (٤١٦٣) (إِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْجَرُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا، إِلَّا فِي التُّرَابِ»، أَوْ قَالَ: «فِي الْبِنَاءِ).

مثل المؤمنين فى توادهم

عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

لغة الحديث:

الودُّ: مصدر المودة. قال ابن سيده: (الودُّ الحُبُّ يَكُونُ فِي جَمِيعِ مَداخِلِ الخَيْرِ؛ عَنْ أَبِي زَيْدٍ. ووَدِدْتُ الشيءَ أَوَدُّ، وَهُوَ مِنَ الأُمْنِيَّةِ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: هَذَا أَفضل الْكَلَامِ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَدَدْتُ ويَفْعَلُ مِنْهُ يَوَدُّ لَا غَيْرَ؛ ذَكَرَ هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَي يَتَمَنَّى).

وتَشَكَّى واشْتَكَى: كشَكا، واشْتكى عُضواً مِنْ أَعضائه وتَشَكَّى بِمَعْنًى أي مرض

عطف: عَطَفَ يَعْطِفُ عَطْفاً: انصرفَ. وَرَجُلٌ عَطوف وعَطَّاف: يَحْمِي الْمُنْهَزِمين. وعَطَفَ عَلَيْهِ يَعْطِفُ عَطَفاً: رَجَعَ عَلَيْهِ بِمَا يَكْرَهُ أَو لَهُ بِمَا يُرِيدُ. وتَعَطَّفَ عَلَيْهِ: وصَلَه وبرَّه. وتعطَّف عَلَى رَحِمه: رَقَّ لَهَا. والعاطِفةُ: الرَّحِم، صِفَةٌ غَالِبَةٌ. وَرَجُلٌ عَاطِف وعَطُوف: عَائِدٌ بِفَضْلِهِ حَسَنُ الخُلُق. قَالَ اللَّيْثُ: (العَطَّاف الرَّجُلُ الحسَن الخُلُق الْعَطُوفُ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ).

قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (تداعى لها سَائِرُ الْجَسَدِ) أَيْ دَعَا بَعْضُهُ بَعْضًا إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي ذَلِكَ أَي اسْتَجَابَ لَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَدَاعَتِ الْحِيطَانُ أي تساقطت أو تهيَّأت للسقوط أو قربت من التساقط

الفوائد والأحكام

- (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ... إلى آخره) هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام.
- وهذا يدل على أن المؤمن يسوئه ما يسوء أخاه المؤمن، ويحزنه ما يحزنه.
- وقد مدح الله تعالى في كتابه من لا يريد العلو في الأرض ولا الفساد، فقال: (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: ٨٣].
- قال رجل لعمر بن عبد العزيز: (اجْعَلْ كَبِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكَ أَبًا، وَصَغِيرَهُمُ ابْنًا، وَأَوْسَطُهُمْ أَخًا، فَأَيُّ أُولَئِكَ تُحِبُّ أَنْ تُسِيءَ إِلَيْهِ؟).
- ومن كلام يحيى بن معاذ الرازي: (لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلَاثَةً: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ).
- فأنت إذا أحسست بألم في أطراف شيء من أعضائك، فإن هذا الألم يسري على جميع البدن، كذلك ينبغي أن تكون للمسلمين، إذا اشتكى أحد من المسلمين فكأنما الأمر يرجع إليك أنت.
- إنما جعل المؤمنين كجسد واحد لأن الإيمان يجمعهم كما يجمع الجسد الأعضاء، فلاجتماع الأعضاء يتأذى الكل بتأذي البعض وكذلك أهل الإيمان، يتأذى بعضهم بتأذي البعض.
- قال الطبري: (فالأخ في الله كالذي وصف به رسول الله المؤمن للمؤمن وأن كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة الجسد الواحد؛ لأن ما سر أحدهما سر الآخر وما ساء أحدهما ساء

الآخر، وأن كل واحد منهما عون لصاحبه في أمر الدنيا والآخرة كالبنيان يشد بعضه بعضًا وكالمرآة له في توقيفه إياه على عيوبه ونصيحته له في المشهد والمغيب وتعريفه إياه ما يخفى عليه من خطئة وما فيه صلاحه).

ألا أنبئكم بأكبر الكبائر

عن أبي بكرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ) رواه البخاري (٥٩٧٦) ومسلم (٨٧).

لغة الحديث

- (أَلا أنبئكم): أي: ألا أخبركم، وألا، بفتح الهمزة وتخفيف اللام، للتنبيه هنا ليدل على تحقق ما بعدها.
- (أكبر الكبائر): الكبائر جمع كبيرة وهي كل فعل قبيح نهى عنه الشرع وشدد النهي عنه وأعظم أمره، وأكبرها أشنعها وأكثرها إثما. وهي كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد فهو كبيرة وهو المعتمد، والكبائر، جمع كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا. العظيم أمرها: كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك.
- (ثلاثا): كرر الجملة ثلاث مرات

العقوق مأخوذ من العق وهو القطع، ومنه سميت العقيقة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع؛ لأنها تعق: يعني تقطع رقبتها عند الذبح. وهو كل فعل يتأذى به الوالدان وذلك لأن العاق يقطع ما بينه وبينهما من صلة.

- (الزور): الكذب والباطل، وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل لمن سمعه أنه بخلاف ما هو عليه.

الفوائد والأحكام

- قال لهم: (ألا أنبئكم) ثلاث مرات، وإنما كرره تأكيدا ليتنبه السامع على إحضار فهمه، وكانت عادته صلى الله عليه وسلم إعادة حديثه ثلاثا ليفهم عنه. فلينتبه إلى ذلك من يتصدى لوعظ الناس وتعليمهم.
- فيه دليل على أنه ينبغي للعالم أن يعرض على أصحابه ما يريد أن يخبرهم به إما لأجل الحض على التفرغ والاستماع له، وإما لسبب يقتضي التحذير مما يحذرهم أو للحض على الإتيان بما فيه صلاحهم.
- العقوق من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة وكذلك قطيعة الرحم. قال الله تعالى: (فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ) [محمد: ٢٢-٢٣] يعني أنكم إذا توليتم أفسدتم في الأرض، وقطعتم الرحم وحقت عليكم اللعنة، وأعمى الله أبصاركم.

(وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ) المراد بالأبصار هنا البصيرة وليس بصر العين، والمراد أن الله تعالى يعمي بصيرة الإنسان والعياذ بالله، حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً.

وهذه عقوبة أخروية ودنيوية:

أما الأخروية: فقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ) [النساء: ٥٢].

وأما الدنيوية: فقوله: (فَأَصَمَّهُمْ)، يعني: أصم آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، (وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ) عن رؤية الحق والانتفاع به. وقال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ) [الرعد: ٢٥].

- (حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ) أي شفقة عليه وكراهية لما يزعجه وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والمحبة له والشفقة عليه
- (وَكَانَ مُتكئا) جملَة حَالية. (فجلس وقال: ألا وقول الزور...) تنبيها على خطورته، وسبب الاهتمام بشهادة الزور كونها أسهل وقوعا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام به، وليس ذلك لعظمه بالنسبة إلى ما ذكر معه من الإشراك قطعا بل لكون مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف الإشراك فإن مفسدته مقصورة عليه غالبا وقول الزور أعم من شهادة الزور لأنه يشمل كل زور من شهادة أو غيبة أو بهت أو كذب.
- قسم ابن العربي الكذب على أربعة أقسام: أَحدهَا: وهو أشدها: الكذب على الله تعالى: قال الله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ) [الزمر: ٣٢]. والثاني: الكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: وهو هو، أو نحوه. الثالث: الكذب على الناس، وهي شهادة الزور في إثبات ما ليس بثابت على أحد، أو إسقاط ما هو ثابت. الرابع: الكذب للناس.

- في الحديث انقسام الذنوب إلى كبيرة وأكبر، ويؤخذ منه ثبوت الصغائر لأن الكبائر بالنسبة إليها أكبر منها، والاختلاف في ثبوت الصغائر مشهور، وأكثر ما تمسك به من قال ليس في الذنوب صغيرة كونه نظر إلى عظم المخالفة لأمر الله ونهيه، فالمخالفة بالنسبة إلى جلال الله كبيرة، لكن لمن أثبت الصغائر أن يقول: وهي بالنسبة إلى ما فوقها صغيرة كما دل عليه هذا الحديث، وفيه انقسام الذنوب إلى كبيرة وأكبر، وقد فهم الفرق بين الصغيرة والكبيرة من مدارك الشرع، ويدل على ثبوت الصغائر قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فلا ريب أن السيئات المكفرة ههنا هي غير الكبائر المجتنبة لأنه لا يكفر إلا ذنب قد فعله المذنب لا ما كان مجتنبا من الذنوب، فإنه لا معنى لتكفيره. والكبائر المرادة في الآية مجتنبة فالسيئات المكفرة غيرها وليست إلا الصغائر لأنها المقابلة لها وكذلك يؤيد ثبوت الصغائر حديث تكفير الذنوب الوارد في الصلاة والوضوء مقيدا باجتناب الكبائر. فثبت أن من الذنوب ما يكفر بالطاعات، ومنها ما لا يكفر، وذلك عين المدعى، ولهذا قال الغزالي: إنكار الفرق بين الكبيرة والصغيرة لا يليق بالفقيه.
- فشاهد الزور أساء إلى نفسه، وأساء إلى من شهد له، وأساء إلى من شهد عليه. أما إساءته إلى نفسه فلأنه أتى كبيرة من كبائر الذنوب والعياذ بالله؛ بل من أكبر الكبائر، وأما كونه أساء إلى المشهود له فلأنه سلطه على ما لا يستحق وشجعه على الباطل، وأما إساءته إلى المشهود عليه فظاهرة؛ فإنه ظلمه واعتدى عليه، ولهذا كانت شهادة الزور من أكبر الكبائر والعياذ بالله.

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ» وَزَادَ اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيْقُ بْنُ حُكَيْمٍ إِلَى ابْنِ شِهَابٍ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي القُرَى: هَلْ تَرَى أَنْ أُجَمِّعَ وَرُزَيْقٌ عَامِلٌ عَلَى أَرْضٍ يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ؟ - وَرُزَيْقٌ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَيْلَةَ - فَكَتَبَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: يَأْمُرُهُ أَنْ يُجَمِّعَ، يُخْبِرُهُ أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

لغة الحديث

- (بوادي القرى): مدينة من مدن الحجاز.
- (أُجَمع): أصلي بمن معي الجمعة.
- (يعملها): يزرعها.
- (على أيلة): أمير عليها وهي قلعة كانت وقد خربت.
- (الإمام): الحاكم الأعلى أو من ينوب منابه.

الرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته يقال: رعى الأمير القوم رعاية فهو راع ; أي قام بإصلاح ما يتولاه وبتدبير من تحت يده وسياستهم في الدنيا.، وهم رعية فعيلة بمعنى مفعول، ودخلت التاء لغلبة الاسمية. الراعي هنا; الحافظ المؤتمن على ما يليه

- (مسؤول عن رعيته): مطالب ومحاسب عن قيامه بشؤون من تحت رعايته وفي كنفه في الدنيا ويوم القيامة.
- (أهله): زوجته وأولاده ومن تحت رعايته وتجب عليه نفقتهم
- (فَكُلُّكُمْ): قال الطيبي: (الْفَاءُ جَوَابُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ يَعْنِي تَقْدِيرَهُ ; فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ عَلَى مَا فَصَّلْنَاهُ فَكُلُّكُمْ (رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) كَمَا أَجْمَلْنَاهُ، فَالْجُمْلَةُ فَذْلَكَةٌ لِلْكَلَامِ، وَخُلَاصَةٌ لِلْمَرَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [البقرة: ١٩٦] بَعْدَ ذِكْرِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعَةِ).

الفوائد والأحكام

- رعاية الإمام ولاية أمور الرعية: فالحياطة من ورائهم، وإقامة الحدود والأحكام فيهم.
- ورعاية الرجل أهله: فالقيام عليهم بالحق في النفقة، وحسن العشرة.
- ورعاية المرأة في بيت زوجها: فحسن التدبير في أمر بيته والتعهد بخدمة أضيافه.
- ورعاية الخادم: فحفظ ما في يده من مال سيده والقيام بشغله.
- استدل الزهري بهذا الحديث في رواية الليث عن يونس عنه، التي ذكرها البخاري تعليقاً على أن الأمير في البلدان والقرى - وإن لم يكن من الأمصار الجامعة - عليه أن يقيم الجمعة

لأهلها، لأنه راع عليهم، ومسئول عنهم، ومما يجب عليه رعايته: أمر دين رعيته، وأهمه الصَّلاة.

- كل من جعله الله أمينًا على شيء، فواجب عليه أداء النصيحة فيه، وبذل الجهد في حفظه ورعايته؛ لأنه لا يسأل عن رعيته إلا من يلزمه القيام بالنظر لها وصلاح أمرها،
- العبد راع في مال سيده، يلزمه ما يلزم سائر الرعاة من حفظ ما استُرعي عليه، ولا يعمل في معظم الأمور إلا بإذن سيده، وما كان من المعروف المعتاد أن يعفى عنه مثل الصدقة بالكسرة والقطعة فلا يحتاج فيه إلى إذن سيده، وقد جاء في حديث النبي عليه السلام أن الخادم أحد المتصدقين ولم يشترط إذن سيده إلا في الكثير لقوله: (الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ الْأَمِينُ، الَّذِي يُنْفِذُ وَرُبَّمَا قَالَ: يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ، كَامِلًا مُوَفَّرًا، طَيِّبًا بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ) رواه البخاري (١٤٣٨) ومسلم (١٠٢٣) فهذا يدل على العطاء الجزيل؛ لأن اشتراط الكمال فيه دليل على الكثرة.
- ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعي في رعيته، سواء كانت رعيته عامة كالحاكم، أو خاصة كعدل آحاد الناس في أهله وولده، كما قال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). وفي صحيح مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وما ولوا). وفي الترمذي (١٣٢٩) عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ).

احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُّ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) رواه الترمذي (٢٥١٦).

وفي رواية غير الترمذي (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً).

الفوائد والأحكام:

- حسن تعليم النبي وتربيتــه.
- تواضع النبي.
- جواز الإرداف على الدابة، لكن بشرط أن تطيق ذلك.
- الاهتمام بالناشئــة وتعليمهم أمور دينهم.
- أن من حفظ الله وذلك بإقامة أوامره وترك نواهيــه حفظه الله في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم ما يجب حفظــه من أوامر الله:

أولاً: الصلاة. قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ثانياً: الطهارة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ) رواه أحمد (٢٢٤٣٤).

ثالثاً: الأيمان. قال تعالى:﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

رابعاً: حفظ الرأس والبطن. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى) رواه الترمذي (٢٤٥٨).

خامساً: حفظ الفرج. قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الحشر: ١٩]. فالجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله حفظه الله، وهذه قاعدة شرعية جاءت نصوص كثيرة تدل عليها: قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) رواه مسلم (٢٦٩٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله تَعَالَى بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) رواه مسلم (٥٣٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: (احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ) رواه أحمد (١٥٥٩٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِن عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ) رواه البخاري (٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣)، وقال: (وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ) رواه أبو

داود (٦٦٦)، وقال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) رواه الترمذي (١٩٢٤).

- أن من حفظ الله كان الله معه يحفظه وينصره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ٢٨١].

قال قتادة: (من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل) وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقول موسى ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [النحل: ٢٨١]، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنهما وهما في الغار (مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا) رواه البخاري (٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١).

- أن من عرف الله حال رخائه وصحته وغناه عرفه الله عندما تحل به الشدة والضيق والفقر والمرض. فيونس عليه السلام عرف ربه حال الرخاء فعرفه في بطن الحوت ونجاه وثبته ونصره.
- أن الإنسان يجب عليه أن يسأل الله ويستعين به ولا يسأل غيره. فلا يُدعى إلا الله، ولا يُستعان إلا به كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

نفى سبحانه أن يكون أحد أضل ممن يدعو غير الله، وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة.

والاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال أبلغ ضلالاً ممن عبد غير الله ودعاه، حيث يتركون السميع المجيب القادر على تحصيل بُغيتهم ويدعون من دونه ممن لا يستجيب لهم.

وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من لا يسال الله يغضب عليه) رواه ابن ماجه.

لكن يجوز للإنسان أن يستعين بمخلوق فيما يقدر عليه هذا المخلوق، لقوله: (وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ، صَدَقَةٌ) رواه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

- وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل شيء مكتوب.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. قال صلى الله عليه وسلم: (كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) رواه مسلم (٢٦٥٣). وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) رواه أبو داود (٤٧٠٠).

ويتفرع على هذه الفائدة:

عدم جزع الإنسان واطمئنان قلبه، لأن كل شيء مكتوب ومقدر.

أنه لن يصيب العبد إلا ما كتب له، فلن يستطيع أحد أن ينفعه بشيء لم يكتب له، ولا يستطيع أحد أن يضره بشيء لم يكتب له. كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [الحديد: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التوبة: ٥١]. وقال سبحانه: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال ابن رجب رحمه الله: (واعلم أن مدار هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده).

- فضل الصبر وأنه من أسباب النصر، وهذا يشمل الجهادين: جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار أسيراً لعدوه أو قتيلاً له. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٧].

قال بعض السلف: (كلنا يكره الموت، وألم الجراح، ولكن نتفاضل بالصبر). وقال بعض العلماء: (الشجاعة صبر ساعة). قال أبو الطيب المكي: (اعلم أن الصبر سبب دخول

الجنــة، وسبب النجاة من النار، لأنه جاء في الحديث [حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات] فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة، وإلى صبر عن الشهوات لينجـــو من النار).

وقال في مقام آخر: (واعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، وقلة الصبر على ما يكرهون).

وللصبر فضائل عظيمة:

أولاً: معية الله للصابرين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ثانياً: محبة الله لهم. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ثالثاً: إطلاق البشرى لهم. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

رابعاً: إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم. قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

خامساً: ضمان المدد والنصرة لهم. قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

سادساً: استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم. قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

سابعاً: حفظهم من كيد الأعداء. قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ثامناً: الحصول على درجة الإمامة في الدين. قال ابن تيمية: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. ثم تلا هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٤].

تاسعاً: أنه من أسباب النصر. كما في حديث الباب: (واعلم أن النصر مع الصبر).

- البشارة العظيمة بأن تفريج الكربات وإزالة الشدائد مقرون بالكرب، فكلما كرب الإنسان فرج الله عنه.

ويشهد لهذا: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠]. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال ابن رجب رحمه الله: (وكم قص سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكرب، كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليم، وإغراق عدوهم).

انه إذا تعسر الأمر فلينتظر المسلم وليستبشر بقدوم اليسر. ويشهد لهذا قوله تعالى: (سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا) [الطلاق: ٧]، وقوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا) [الشرح: ٥-٦].

- تحريم اليأس والقنـــوط.

إن الحلال بيّن والحرام بيّن

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ. وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ. كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى. يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى. أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. ألا وهي القلب) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

لغة الحديث

- (بيّن): ظاهر.
- (مشتبهات): جمع مشتبه، وهو المشكل لما فيه من عدم الوضوح في الحِل أو الحرمة.
- (لا يعلمهن): لا يعلم حكمها.
- (اتقى الشبهات): ابتعد عنها.
- (لدينه): أي عن النقص.
- (الحِمى): المحمي.
- (يرتع): أي تأكل ماشيته منه.
- (محارمه): المعاصي.

الفوائد والأحكام

- قسم النبي عليه الصلاة والسلام الأمور إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حلال واضح لا يخفى حله كأكل الخبز، والمشي.

القسم الثاني: حرام واضح. كالخمر والزنا والغيبة.

القسم الثالث: مشتبه: يعني ليست بواضحة الحل أو الحرمة.

فهذه لا يعرفها كثير من الناس، أما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس.

فهذه الأفضل والأروع تركها والابتعـــاد عنها، لماذا؟

لأن ذلك أسلم وابرأ لدينـــه من النقص، وعرضه من الكلام فيه.

- أن من يقع في الشبهات يقع في الحرام لقوله صلى الله عليه وسلم: (من وقع في الشبهات وقع في الحرام) أي من أقدم على ما هو مشتبه عنده، لا يدري أهو حلال أو حرام، فإنه لا يأمن أن يكون حراماً في نفس الأمر فيصادف الحرام وهو لا يدري أنه حرام.
- شبه النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقع في الشبهات بالراعي يرعى بغنمـــه وإبله حول الحمى، أي حول المكان المحمي، يوشك ويقرب أن يقع فيه، لأن البهائم إذا رأت الأرض المحمية مخضرة مملوءة من العشب فسوف تدخل هذه القطعـــة المحميـــة، كذلك المشتبهات إذا حام حولها العبد فإنه يصعب عليه أن يمنع نفسه عنها.
- من أسباب النجاة من الوقوع في الحرام الورع والابتعـــاد عن الشبهات.

قال أبو الدرداء: (تمام التقوى أن يتقي العبد ربـــه، حتى يتقيه من مثقال ذرة). وقال الحسن البصري: (ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الوقوع بالحرام). وقال الثوري: (إنما سموا متقين، لأنهم اتقـــوا ما لا يتقى).

- فضل الورع.
- الاحتياط براءة للدين والعرض.
- حكمة الله في ذكر المشتبهات حتى يتبين من كان حريصاً على طلب العلم ومن ليس بحريص.
- أنه لا يمكن أن يكون في الشريعة ما لا يعلمــه الناس كلهم.
- حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم بضرب الأمثال المحسوسة ليتبين بها المعاني المعقولة.
- يجب على الإنسان أن يهتم بقلبــه، لأن مدار الصلاح والفساد عليه، فإذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد.

وسمي القلب قلباً: لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن.

لا تحاسدوا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا. المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هاهُنا. ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ. كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ) رواه البخاري (٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٤).

لغة الحديث

- (لا تحاسدوا): الحسد تمني زوال النعمة عن الغير.
- (ولا تناجشوا): النجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها.
- (ولا تدابروا): التدابر هو التهاجر والتقاطع.
- (ولا يخذله): أي لا يترك نصره.
- (لا يكذبه): لا يخبره بالكذب.
- (ولا يحقره): أي لا يستصغره.
- (بحسب امرىء من الشر): يكفيه من الشر أن يحقر أخاه، يعني يكفي فاعله عقوبة هذا الذنب.

الفوائد والأحكام

- تحريم الحســـد. والحسد فيه مباحث:

المبحث الأول: هو حرام بالكتاب والسنة والإجماع. قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]. ومن السنة حديث الباب (لا تحاسدوا). وأجمع العلماء على تحريمه.

المبحث الثاني: تعريفه: هو تمني زوال النعمـــة عن الغير.

المبحث الثالث: خطورة الحسد:

أولاً: من صفات اليهود. قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

ثانياً: فيه أذى للمسلمين. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

ثالثاً: أمر الله بالاستعاذة منه. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥].

رابعاً: أن فيه اعتراضا على قدر الله وهذا سوء أدب.

قال الشاعر:

ألا قل لمن كان حاســـداً أتدري على من أسأت الأدبْ

أسأت على الله في فعله لأنك لم ترضَ لي ما وهبْ

المبحث الرابع: الحسد أضر شيء على الحاسد، لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه:

أولاً: غم لا ينقطع.

ثانياً: مصيبة لا يؤجر عليها.

ثالثاً: مذمة لا يحمد بها. رابعاً: يسخط عليه الرب. خامساً: تغَلق عليه أبواب التوفيق.

المبحث الخامس: من أقوال السلف.

روي عن معاوية أنه قال لابنه: (يا بني إياك والحسد، فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك).

وعن سفيان بن دينار قال: (قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً، قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم).

وشتم رجل ابن عباس، فقال له: (إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي به من سائمة).

وقال علي: (لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محبَّ لسيء الخلق).

وقال معاوية: (كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها).

وقال بعض الحكماء: (ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد).

وقال بعضهم: (إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط).

المبحث السادس: الحسد سبب لكثير من البلايا.

فهو سبب امتناع إبليس من السجود لآدم.

وهو من أسباب امتناع القرشيين من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وسبب لامتناع اليهود من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وإخوة يوسف لما حسدوه ألقوه في غيابات الجب.

- تحريم النجش، وهو أن يزيد في السلعـــة وهو لا يريد شراءها.

وغالباً من يفعل ذلك:

إما للإضرار بالمشتري، أو لنفع البائع، أو للأمرين.

والناجش آثم، وإذا وقع البيع فهو صحيح عند الجمهـــور.

- تحريم التباغض بين المسلمين، لقوله: (ولا تباغـضوا).

ويمكن أن يجتنب التباغض بين المسلمين بأمرين:

الأمر الأول: التباعد عن كل أمر يؤدي إلى التباغض.

فقد حرم الله الخمر لأنه يوقع بين المسلمين العداوة والبغضاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن

ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ) [المائدة:٩١] وحرم المشي بالنميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء.

وحرم بيع المسلم على بيع أخيه لنفس العلة.

الأمر الثاني: القيام بالأسباب التي تؤدي إلى التحاب بين المسلمين.

ومنها: معرفة أن التحاب من علامة الإيمان.

قال صلى الله عليه وسلم (لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) رواه مسلم (٥٤).

ومنها: أن الله امتن على عباده بالتأليف بين قلوبهم. قال تعالى: (وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا) [آل عمران:١٠٣].

- أن البغض في الله من أوثق عرى الإيمان.
- تحريم التدابـــر، وهو الهجران والتقاطع.

ويمكن للمسلم أن يتجنب الهجران بمعرفة خطورتـــه:

أولاً: أنه حرام.

لحديث الباب (ولا تدابروا). وللحديث (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ) رواه مسلم (٦٢٣٧).

ثانياً: خطر من هجر أخاه سنة. قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ) رواه أبو داود (٤٩١٥).

ثالثاً: أن التهاجر والتقاطع يفرح الشيطان. قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ أَنْتَ) رواه أحمد (١٤٣٧٧). وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) رواه مسلم (٢٨١٢).

رابعاً: لا ترفع أعمال المتهاجرين. قال صلى الله عليه وسلم: (تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عز وجل فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) رواه مسلم (٢٥٦٥).

خامساً: معرفة فضل من بدأ منهما بالسلام. قال صلى الله عليه وسلم: (وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ) رواه البخاري (٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

والهجر لا يجوز مطلقاً في الأمور الدنيوية، أما لأجل الدين فيجوز إذا كان لمصلحة وفيه منفعة، وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلفوا، وأمر بهجرهم.

- تحريم بيع المسلم على بيع أخيه.

أولاً: تحريم أن يبيع الإنسان على بيع إنسان آخر.

لقوله صلى الله عليه وسلم: (وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ) رواه البخاري (٢١٦٥) ومسلم (١٤١٢).

مثال ذلك: أن يشتري شخص من إنسان سلعة بعشرة، فيأتيه آخر ويقول: أعطيك مثلها بتسعة، أو يقول: أعطيك أحسن منها بعشرة.

فهذا حرام ولا يجوز.

ثانياً: ومثله الشراء على شراء أخيه.

مثال ذلك: علمتُ أن زيــداً باع على عمر بيته بـ ١٠٠، فذهبت إلى زيد وقلت له: يا فلان، أنت بعت بيتك على عمر بـ ١٠٠، أنا سأعطيك ١٢٠.

ثالثاً: الحكمة من النهي: قطع العدوان على الغير، واجتناب ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء.

- وجوب أن نكون إخواناً في الله، لقوله ﷻ وكونوا عباد الله إخوانا ﷺ.

قال ابن رجب رحمه الله: (هذا ذكره النبي صلى لله عليه وسلم كالتعليل لما تقدم، وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركـــــوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بعض كانوا إخواناً).

كيف نحقق الإخوة؟

أن نفعل كل ما يقوي الإخوة كالسلام، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، وتشييع الجنازة، وإجابة الدعوة، والنصح بالغيب.

ونبتعد عن كل ما يضعف الإخوة أو يزيلها كالتباغض، والحسد، والغش.

وقد جاءت نصوص تدل على أن المؤمنين إخوة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. وقال صلى الله عليه وسلم: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

- من مقتضيات الأخوة: عدم الظلم، وعدم الخذلان، وعدم الكذب، وعدم الاحتقار.

عدم الظلم: سبق في حديث (فلا تظالموا).

عدم الخذلان: لقوله صلى الله عليه وسلم: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ) رواه البخاري (٢٤٤٤) والترمذي (٢٢٥٥).

عدم الكذب: فلا يجوز أن يكذب على أخيه المسلم، بل لا يحدثه إلا صدقاً.

والكذب محرم وهو من قبائح الذنوب. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]. وقال صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا.) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧). وقال صلى الله عليه وسلم: («آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩). وقال صلى الله عليه وسلم: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ) رواه أبو داود (٤٩٩٠).

عدم الاحتقار: فلا يجوز للمسلم أن يحتقر وأن يستصغر أخاه المسلم.

وهو ناشئ عن الكبر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ) رواه مسلم (٩١).

وغمط الناس: الطعن عليهم وازدراؤهم. وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ) [الحجرات:١١].

وقال صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث: (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ) رواه مسلم (٢٥٦٤) يعني يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم، فإنه إنما يحقر أخاه المسلم لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشر.

- أن المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه.

دمه: سبقت الأدلة على تحريم قتل المسلم بغير حق.

ماله: لا يجوز أخذ مال المسلم بغير حق. قال تعالى: (وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ) [البقرة:١٨٨].

عرضه: فلا يجوز أن يغتابه. والغيبة حرام بالكتاب والسنة والإجماع. قال تعالى: (وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُ) [الحجرات:١٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا) رواه البخاري (١٧٣٩) ومسلم (١٧٣٩).

وعن أنس. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ

نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ) رواه أبو داود (٤٨٧٨). وعن عائشة قالت: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ فقال: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجتـــه) رواه أبو داود (٤٨٧٥).

من أقوال السلف:

قال البخاري: (ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام).

قال يحيي بن معاذ: (ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحـــه فلا تغمـــــه، وإن لم تمدحـــه فلا تذمـــه).

واغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له: (اذكر القطـــن إذا وضع على عينيك).

وقيل للربيع بن خثيم: (ما نراك تعيب أحداً؟ فقال: لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس).

وقال ابن المبارك: (لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والديّ لأنهما أحق بحسناتي).

جمعية الدعوة والتعليم
باللغات الأفريقية
Da'wah and Education in African Languages

الحديث

منهج مخصص للدورات الشرعية القصيرة

إعداد جمعية الدعوة والتعليم باللغات الأفريقية